

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مادة علم نفس نمو

- ١) نبذة تاريخية عن تطور علم نفس النمو .
- ٢) دور العلماء المسلمين في علم نفس النمو.
- ٣) مناهج البحث في علم نفس النمو.
- ٤) أخلاقيات البحث في علم نفس النمو .

إعداد :

أسماء صالح الراددي ٣٢١٢٠٦٧

أميرة فرج العمراني ٣٢١١٩٨٨

بيان حسن الأحمدى ٣٢١١٧٠٥

بيان حمد الأحمدى ٣٢١١٦٩٧

عبير محمد الحربى ٣٢١١٦٣٨

عهود طالب المغامسى

مناهل صالح الجابري ٣٢١١٦٤٣

هيفاء علي الشريف ٣٢١٢١٢٣

أسهمت الحضارة الإسلامية في تطوير العلوم المختلفة والدفع بها الى الامام بل اخرجها من حيز الاسطورة والخرافة الى حيز العلم التجريبي الذي يستند الى اسس يعتمد عليها ولعل من أبرز فروع المعرفة التي كان للمسلمين اسهاما واضحا فيها علم النفس بفرروعة المختلفة ، اذ المسلمون يستندون في ذلك الى تصور صحيح يعتمد على الدين الاسلامي القويم من كتاب الله وسنة رسولة وفي هذه المحاضرة سنتناول احد فروع علم النفس ذي العلاقة الوثيقة في مجال دراستنا في هذه المرحلة وهو علم نفس النمو

تدور أبحاث علم النمو النفسي حول دراسة سلوك الأطفال في تطوره ونضجة ومدى تأثر هذا التطور بالنواحي الجسمية النفسية الاجتماعية.

وتعتمد هذه الدراسات على الملاحظة العلمية الدقيقة والتجريب والتحليل الإحصائي لنتائج هذه الملاحظات والتجارب ، لتصل من ذلك كلة إلى معرفة الطفل في نموة ومظاهر هذا النمو معرفة علمية دقيقة تهدف لإسعاد الفرد والى السير قدماً بالانوع الأنساني نحو الحياة المثلى التي يريجوها ومازال يحلم بها ويعمل جاهداً لتحقيقها.

وتنقسم هذه الابحاث الى الأقسام الرئيسية التالية:

- ١) دراسة سلوك الطفل ونموه الطبيعي الذي يبدو مستقلاً استقلالاً نسبياً عن الظروف الخارجة المحيطة به، أي دراسة هذا النمو في إطار العوامل الوراثية والعضوية التي تؤثر فيه.
- ٢) دراسة أثر القوى المختلفة للبيئة في سلوك ونمو الأطفال . أي دراسة النمو في إطار البيئة القائمة ، جغرافية كانت أم إجتماعية.
- ٣) دراسة أثر سلوك ونمو الأطفال في البيئة المحيطة بهم وفي الثقافة التي تهيمن عليهم . أي دراسة البيئة نفسها في إطار نمو الأطفال ومدى تغييرها وتكيفها لتساير هذا السلوك ، وأثر هذا التغيير في سلوك أطفال الأجيال القادمة .

تعتمد الأبحاث الحديثة في علم النمو النفسي على الاتجاهات العلمية التي أثرت في نشأة وتطورة ، فلقد تأثر هذا العلم في نشأة الاولى بالاراء الفلسفية التي كانت تعاصر هذه النشأة ، ثم تأثر بعد ذلك بابحاث ونظريات علوم الحياة التي ترتبط بة من قريب ومن بعيد ، ثم أستقامت طرائقه ووضح منهجة وأسلوبه ، وتحدد ميدانه وأتخذ لنفسه طرقا جديدة في البحث سارت بة قدماً الى وضعة الحديث.

ولدراسة تاريخ نشأة هذا العلم أهميتها في معرفة المنابع الأولى التي قامت عليها الدراسات الحديثة ، وفي معرفة النتائج التي كانت ثمرة لتلك الدراسات ، وفي معرفة الميادين التي أستطرد فيها البحث ونشط ، والميادين التي وقف عندها العلم لقصور في أساليبه وطرائقه القديمة ، ومعرفة أسباب النجاح والعجز ، لنستدل من ذلك كله على أهم الميادين التي مازالت مجالاً متسعاً لابحاث عدة ، ولنستدل أيضاً على أهمية الحقائق التي وصلنا إليها ، وعلى أنسب الطرق العلمية للدراسة .

## النشأة والتطور الفلسفي:

نشأ علم النمو النفسي في أحضان التأملات الدينية والفلسفية القديمة.

ولسنا نعرف بالضبط متى بدأ الإنسان يفكر في أطوار نموه ، وبدء تكوينه ولكننا نعرف أشياء أيسرها معرفة الإنسان البدائي الفطري بحركة الأجنة في بطون أمهاتها ، ونعرف كذلك أن هذا الإنسان البدائي أستطرد من ملاحظة تلك حتى رسم لآلهة العديدة التي كان يعبدها مراحل للنمو تشابه الى حد كبير مراحل نموه هو، فظن أن آلهة كانت أجنة قبل أن تصبح ناضجة مكتملة راشدة.

وذهب أرسطو إلى أن الحياة "صفة للموجود، بها يتغذى، وينمو، وينقص، بنفسه"

فالصفة الأساسية للحياة هي الاستحالة، أي التغير من حالة إلى حالة أخرى وهذه الاستحالة في جوهرها الى التغذي في جوهره الى قوة فاعلة بها يتم هذا الفعل وهذه القوة هي النفس.

"فالحياة تنشأ في الاغلب والأعم عن طريق أجتمع مادة وصورة ، والمادة هي عضو التأنيث والصورة هي عضو التذكير ، والاختلاف بين المذكر والمؤنث في الولادة والتكاثر ، هو أن عضو التذكير يدل على الكمال وعلى الفعل ، بينما عضو التأنيث يدل على النقص والأنفعال . ويتم التكاثر باجتمع عضو التذكير مع عضو التأنيث بحسب أحوال الكائنات الحية ، فإذا كان فعل عضو التذكير كاملاً تاماً، ففي هذه الحالة يكون المولود ذكراً ، وإذا كان ناقصاً كان المولود أنثى "

ولقد ألمحت الكتب السماوية الى نشأة الانسان وتطور حياة الجنين ، ووصف القراعن الكريم هذه المراحل ليؤكد دورة الحياة كقولة تعالى ( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ) ثم جعلنا نطقه في قرار مكين ثم خلقنا النطقه علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين

د/ فؤاد البهي السيد (١٩٩٧: الأسس النفسية للنمو، مصر، دار الفكر العربي) ص ٥ ص ٨

بعد تطور علم نفس النمو من المهم ان نتناول مفاهيم النمو الانساني من خلال منظورين للنمو هما المنظور الإسلامي والمنظور الغربي (اليوناني)

المنظور الاسلامي:

من الوفاء العلمي أن نذكر في تاريخ تطور الفكر النفسي الإنساني دراسات قام بها بعض العلماء المسلمين في عصر الحضارة العربية الزاهرة التي امتدت من أواخر القرن السابع إلى الرابع عشر الميلاديين وإليكم أهم الأعلام مع إشارة موجزة إلى أهم دراساتهم النفسية الإيجابية حتى يومنا هذا .

الطبيب ابن سينا: الشيخ الرئيس حياته في ( ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) حوالي خمسين عاماً ( ٨٥٠ - ١٠٠٨ م ) .

ألف رسالة في ( النفس ) وله في كتابه ( الشفاء ) الجزء الأول دراسات نفسية شملت  
المواضيع التالية :

- الإدراك الحسي وأعضاؤه ومراحلها في انتقال صورة الشيء الخارجي إلى الذهن عن طريق  
الحواس .

- دراسته في الخيال وانتزاع الكليات من الجزئيات المدركة بالحس .

- وصف لانفعالات إنسانية لا توجد عند الحيوان كالضحك والتعجب والبكاء والخجل .

- حاول إدراك العلاقة بين بعض الأمراض الجسمية والنواحي النفسية أي الأمراض الجسمية  
التي لها أسباب نفسية انفعالية .

الفارابي : أبو النصر محمد بن محمد طرفان من الترك ( ٢٦٠ - ٣٤١ هـ ) - ( ٨٤٠ م -  
٩١٨ م ) : كان قوي التفكير يتقن أكثر من عشر لغات في عصره ساهم في ترجمة غير  
قليل من التراث اليوناني العلمي إلى العربية له عدة مؤلفات في كثير من مجالات المعرفة  
الإنسانية .

والذي يهمننا في تاريخ التفكير النفسي الاجتماعي كتابه الشهير ( آراء أهل المدينة  
الفاضلة ) حيث أودع فيه آراءه في الحياة النفسية الاجتماعية - ولقد عرف المدينة الفاضلة  
بقوله ( هي المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة  
الحقيقية ) ودرس خلال ذلك نفسية الإنسان وفطرته الاجتماعية .

فالمدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذي تتعاون فيه أعضاؤه كلها ثم درس الروابط  
الاجتماعية بين الأفراد ثم عدد صفات رئاسة المدينة الفاضلة ثم عرج على صفات المدن التي  
تضاد المدينة الفاضلة كالمدينة الجاهلية والضالة وغيرها .

الإمام الغزالي : حجة الإسلام أبو حامد محمد ( ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ) - ( ١٠٥٩ - ١١١١ م )  
: أحد أعلام الفكر الإنساني وهو أشبه بموسوعة علمية جامعة إذ له عدة مؤلفات شملت  
عدة فروع من المعرفة المنتشرة في عصره . والذي يتصل منها بدراساته النفسية مباشرة  
كتابان :

( إحياء علوم الدين ) و ( ميزان العمل ) واهم الدراسات الغزالية في الحياة النفسية ما يلي :

- إطلاق أسم ( علم النفس ) على المعلومات المتعلقة بالنفس وهو سبق علمي للفكر العربي  
في هذه التسمية كما أن الغزالي سمى هذا العلم ( بعلم المعاملة ) لتأكيد الجانب السلوكي .

- دراسة الدوافع الإنسانية في الحياة النفسية بشتى أنواعها وسماها ( بجنود القلب وقوى  
النفس ) وصنفها إلى جنود محرّكة كالغضب و جنود مدركة كالذاكرة والفكرة والخيال ..

- نموذج علمي تحليلي لبيان أنواع السلوك فهي فعل طبيعي كخرق الجسم للماء ثقلاً - أو  
فعل اضطراري كالتنفس وفعل اختياري كالمشي والكتابة والنطق .

- دراسة تفصيلية لمقومات العادات والأخلاق وإمكانية تعديلها مع دراسة نقدية لعادات كانت سائدة في عصره في المنازل والحمامات والأسواق والطرق .

- دراسة واسعة لظاهرة ( الصحبة ) الألفة وأقسامها وصفاتها مع مقارنة بين حياة من يجب الاجتماع بالآخرين وبين من يؤثر حياة الانعزال والوحدة .

- الاهتداء إلى ظاهرة ( التعلم الشرطي ) حسب نظرية ( المؤثر الاشتراطي الانعكاسي ) التي عرف بها عالم الأحياء الروسي ( بافلوف ) ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م إذ يقول الإمام الغزالي قبل ثمانية قرون ما يلي :

( إن النفس منا متى توهمت شيئاً خدمتها الأعضاء والقوى التي فيها فتحركت إلى الجهة المطلوبة .. حتى إذا توهمت شيئاً طيب المذاق تحلبت أشداقه وانتهت فياضيه باللعباب ... )  
فنظرية الغزالي ترى أن سيلان اللعباب يمكن أن يكون نتيجة ( حكم وهمي ) لأسباب منها أن النفوس قد يؤثر بعضها في بعض كما يحدث مع إنسان يكون في جماعة كلهم محزون فيحزن . أو سبب الاقتران – إذ يقول الغزالي أيضاً أن المشاهدات التي تتراءى لنا في الواقع تظهر باستمرار مرتبطة . .

وقد دلل الغزالي على نظريته هذه بالتجارب الإنسانية لأن عصره لم يكن عصر التجارب المخبرية – ولا سيما أن بعض أمثلة الاقتران الشرطي في التعلم لا يلزم فيه الاستمرار والتكرار – كما يحدث لإنسان لدغه الثعبان مرة واحدة فإنه يتعلم الخوف من الحبل الأسود أو ليلاً . . وليس بين الحبل والثعبان اقتران إلا في الوهم . ثم إن اللدغ لم يحدث إلا مرة واحدة .

المنظور الغربي(اليوناني):

على الرغم من أن الحضارة اليونانية هي احدث الحضارات القديمة نشأه الا ان هناك اشارات متكررة لدى الحضارات القديمة الأخرى السابقة عليها إلى مسائل تتصل بطبيعة الإنسان،بالطبع لايتسع المقام لعرض تفاصيل الفكر الفلسفي اليوناني حول الموضوع منذ عصر ما قبل سقراط وهنا تجدرالاشارة الى الاتجاهين الأساسيين اللذين مثلهما أفلاطون وارسطو على وجه الخصوص وهما الاتجاه المثالي من ناحية والاتجاه الواقعي من ناحية أخرى

أفلاطون ( Plato ) حياته ( ٤٢٧ – ٣٤٧ ) ق . م وهو في فلسفته يرى وجود عالمين منفصلين متميزين :

- عالم ( المثل ) وفيه المعاني والأفكار ومنه تتكون النفس .

- عالم ( الحس ) وهو العالم المادي ومنه يتكون الجسم .

فالنفس والجسم في نظر أفلاطون جوهران متميزان وهو يشبههما بأسطورة العربة التي يجرها حصانان . ويقودها سائق فالنفس العاقلة هي السائق والحصانان أحدهما النفس الغضبية والثاني النفس الشهوانية .

وهو يرى أن النفس تنشأ سامية من عالم المثل ثم تهبط إلى عالم ( المادة ) لتعيش في الجسم - والصلة بين الجسم والنفس كصلة السفينة مع ربانها - وآراء أفلاطون مشروحة في كتابه ( جمهورية أفلاطون ) حيث تقوم المدينة الفاضلة كما يراها .

**أرسطو ( Aristote )**: حياته ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ) ق . م وهو يرى أن الجسم والنفس لا ينفصلان لأنهما جوهر واحد ولقد شبه ذلك بتمثال من الرخام . فمادة التمثال هي الجسم ذاته . أما صورة التمثال فهي النفس أو العقل فالجسم لا ينفصل عن النفس . كما أن مادة التمثال لا تنفصل عن صورته المحددة إلا إذا تحطم التمثال ذاته - ولقد فرق أرسطو بين أنواع الكائنات حسب وظائفها الرئيسية .

- ( أ ) وظائف التغذية لحفظ الحياة والنوع وهي ضرورة لكل من النبات والحيوان والإنسان .
- ( ب ) وظائف الحركة والحس خضوعاً للمؤثرات وهي ضرورية للحيوان والإنسان .
- ( ت ) وظائف التفكير وهي ضرورية للإنسان وبها يتميز رغم اشتراكه بالوظيفتين الأولى والثانية مع النبات والحيوان .

د. عبد الحميد محمد الهاشمي ( ١٩٨٦ : اصول علم النفس العام ، جدة ، دار الشروق ) ص ٥٣ ص ٥٨

إن دراسة ظاهرة النمو أو دراسة سلوك الاطفال بطريقة علمية تقتضي منا ملاحظة الاطفال ملاحظة مقصودة ، أي ملاحظتهم بطريقة موضوعية ثم صياغة هذه الملاحظات صياغة علمية أي صياغة قابلة للتوصل تؤدي بنا في نهاية الامر الى بناء نظريات من شأنها تمكيننا من تفسير لا سلوكهم ومن ثم التنبؤ بهذا السلوك

ذلك أن هدف علم نفس النمو كأي علم نفس آخر يستهدف جمع الحقائق ثم ترتيبها وفق عدد من المبادئ تسمح بالتفسير المنطقي كما تسمح أحياناً بالتنبؤ بالوقائع المستقبلية والتدخل لتعديلها إن أمكن ذلك.

لهذا فلا بد أن تكون هناك طرقاً علمية أو مناج لبحث ظاهرة النمو ذلك لانه لا علم بدون منهج.

د/ عباس محمود عوض ( ١٩٩٩ : مدخل علم نفس النمو " الطفولة - المراهقة - الشيخوخة " ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ) ص ١٤

### الملاحظة الطبيعية:

من طرق البحث التي يفضلها علماء النفس ما يسمى بالملاحظة الطبيعية ، أي ملاحظة الانسان في محيطه الطبيعي اليومي المعتاد . ويعني هذا بالنسبة للاطفال مثلا ملاحظتهم في المنزل أو المدرسة أو الحديقة العامة أو فناء الملعب ، ثم تسجيل ما يحدث ، ويصنف رايت Wright, 1960 طرق الملاحظة الطبيعية الى نوعين : أحدهما يسمية الملاحظة المفتوحة وهي التي يجريها الباحث دون ان يكون لديه فرض معين يسعى لاختبارها.

أما النوع الثانى فيسمى رايت الملاحظة المقيدة وهى تلك التى يسعى فيها الباحث الى اختبار فرض معين ، وبالتالي يقرر مقدما ماذا يلاحظ ومتى.

#### طرق الملاحظة المفتوحة :

دراسة الفرد : وتشمل مجموعة من الطرق منها المقابلة الشخصية ودراسة الحالة وتسجيل اليوميات والطريقة الإكلينيكية . وفى هذه الطرق يسجل الباحث المعلومات عن كل فرد من الأفراد موضوع الدراسة بهدف اعداد وصف مفصل لة دون أن تكون لدية خطة ثابتة تبين أى المعلومات لة أهمية أكثر من غيرة .

وعلى الرغم من ان هذه الطريقة فيها ثراء المعرفة وخصوبة المعلومات وحيوية الوصف الا ان فيها مجموعة من النقصات نذكر منها ::

(١) تعتبر هذه الطريقة من جانب الفاحص مصدرا ذاتيا وغير منظم للمعلومات ، أما من جانب المفحوص فانى الى جانب الطابع الذاتى لتقاريره قد تعوز المعلومات التى يسجلها الدقة اللازمة ، وخاصة حين يكون عليه استدعاء احداث هامة وقعت لة منذ سنوات طويلة.

(٢) المعلومات التى نحصل عليها بهذه الطريقة من فردين أو أكثر قد لا تكون قابلة للمقارنة مباشرة.

(٣) النتائج التى نستخلصها من خبرات افراد بذواتهم تمت دراستهم بهذه الطريقة قد تستعصى على التعميم.

(٤) التحيزات النظرية القبلية للباحث قد تؤثر فى الاسئلة التى يطرحها والتفسيرات التى يستخلصها.

#### طرق الملاحظة المقيدة:

تعتمد هذه الطريقة على استراتيجية اختيار بعض جوانب السلوك فقط لتسجيلها ، وبالطبع فان هذا التقييد يفقد الملاحظة خصوبة التفاصيل التى تتوافر بالطرق السابقة ، الا ان ما تفقده فى جانب الخصوبة تكسبه فى جانب الدقة والضبط ، ولعل اعظم جوانب الكسب ان الباحث يستطيع ان يختبر بسهولة بعض فروضة العملية باستخدام البيانات التى يحصل عليها بهذه الطريقة . وهو ما يعجز عنه تماما اذا استخدم الاوصاف القصصية التى يحصل عليها بالطرق الحرة السابقة.

عينة السلوك : وفى هذه الطريقة يكون على الباحث ان يسجل انماطا معينة من السلوك فى كل مرة يصدر فيها عن المفحوص ، كأن يسجل مرات الصراخ التى تصدر عن مجموعة من الاطفال سن ما قبل المدرسة . أو مرات العدوان بين اطفال المرحلة الابتدائية . وقد يسجل الباحث معلومات وصفية اضافية ايضا .

عينة الوقت : فى هذه الطريقة يتركز اهتمام الباحث بمدى حدوث انماط معينة من السلوك فى فترات معينة يخصصها للملاحظة ويتم تحديد اوقاتها مقدما ، والمنطق الرئيسى وراء هذه الطريقة ان الانسان يستمر فى اصدار نفس السلوك لفترات طويلة نسبيا من الزمن ، وعلى هذا يمكننا الحصول على وصف صحيح لهذا السلوك وحكم صحيح عليه إذا لاحظناه بشكل متقطع فى بعد الزمن . و يجب أن يكون المدى الزمنى للملاحظة واحدا تبعا لخطة معدة مقدما

وحدات السلوك : فى هذه الطريقة يلاحظ الباحث خلال فترة زمنية معينة وحدات معينة من السلوك وليس عينة سلوك أو عينة وقت . ومعنى ذلك أن تتم ملاحظة إحدى جزئيات السلوك بدلا من ملاحظته ككتلة مركبة غير متجانسة ، وتبدأ وحدة السلوك فى الحدوث فى أى وقت يطرأ فيه أى تغير على استجابات المفحوص وما قد يصاحبه من تغير فى بينته ، فمثلا إذا لاحظنا أن الطفل وهو يلعب برمال الشاطئ تحول فجأة إلى وضع كمية من الرمل فيشعر طفل

آخر فإننا نسجل في هذه الحالة حدوث ذلك ، باعتباره وحدة سلوك تختلف عما كان يحدث من قبل حين كان الطفلان يتبادلان الابتسام مثلا فأصبحا يتبادلان الهجوم.

أ.د. أمال صادق أ.د. فؤاد أبو حطب (١٩٩٩: نمو الإنسان " من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين" مصر، مكتبة الأنجلو، الطبعة الرابعة) ص ٧٣ ص ٧٧

### الطريقة التجريبية:

قد يرى البعض أن كثيرا من مشكلات سكيولوجية النمو لا يمكن أو لا يكون من الميسر أو المناسب استخدام الطريقة التجريبية فيها. ذلك أنه تعريض الأطفال لمؤثرات مثل فقدان الحب أو فقدان الأمن لنرى أثرها على شخصية الطفل أو توافقه الذاتي أو الاجتماعي.

فهل يجوز لنا إذا أردنا معرفة النبذ على الجنوح أن نطلب من الأباء أن ينبذوا أطفالهم حتى نتأكد من أنه سينمو لديهم الميل للجنوح أو أنهم لن يجنحو رغم نبذ والديهم لهم.

والمنهج التجريبي يحتاج إلى مجموعتين أحدهما تجريبية والأخرى ضابطة وإلى تحقيق أقصى قدر من التجانس بين هاتين المجموعتين واستخدام متغير تابع مقابل المتغير المستقل الذي يراد معرفة فعاليته والذي يستخدم فقط مع المجموعة التجريبية.

وقد تكون هناك صعوبة في ضبط المتغيرات وإن أمكن توافر هذا والتغلب على الصعوبات فإن تعريض الأطفال لتأثيرات غير مرغوبة قد تؤثر بهم تأثيراً سيئاً.

أي أن ذلك يكون متعزراً إنسانياً، ورغم ذلك فإن المنهج التجريبي يمكن أن يكون له فوائد متعددة في مجال سيكولوجية النمو.

### الطريقة المستعرضة:

تقوم هذه الطريقة على دراسة الخواص النفسية لمجموعة أو مجموعات من الأطفال الذين يمثلون عمراً زمنياً واحداً مثل (أطفال سن السادسة أو السابعة) كأن نختار مجموعة من الأطفال تتكون من عشرة أطفال في أعمار مختلفة هي (سنتان، أربع سنوات ، ست سنوات ، ثمان سنوات ، عشر سنوات وإثنا عشرة سنة) ثم نقارن بينهم في الظاهرة التي نعمل على دراستها لديهم كالسلوك الاجتماعي مثلا أو التوافق النفسي أو التنميط الجنسي . ومن مزايا الطريقة المستعرضة أنها قللت الوقت اللازم للحصول على المعلومات الخاصة بالظاهرة المدروسة على أنه من الممكن للباحث في دراسته لموضوع واحد أن يستخدم كلا المنهجين فقد يستخدم المنهج المستعرض أو العرضي ليتبين أن أطفال العاشرة من العمر الذين يتصفون بالعدوانية الزائدة لهم أباء يتسمون بالتشدد في العقاب كذلك فإن هذا الباحث نفسه يمكن له أن يقوم بتناول هذه الظاهرة نفسها باستخدام المنهج الطولي ليتبين السن التي بداء الطفل عندها يتصف سلوكه بالعدوانية ولتتبين إذا ما كان تشدد والد الطفل في العقاب قد حدث قبل أو بعد أن بداء الطفل في إظهار السلوك العدواني كذلك فقد أهتم (جيزل) استخدام الطريقتين معا أثناء

دراسته للخواص النفسية خلال السنوات الخمس الأولى من حياة الأطفال، كما أفاد مقياس الذكاء الذي وضعه ( بينية وسيمون) في تأكيد أهمية الطريقة المستعرضة.

د/ عباس محمود عوض (١٩٩٩: مدخل علم نفس النمو "الطفولة - المراهقة - الشيخوخة"، مصر، دار المعرفة الجامعية ) ص ١٧ ص ١٨

إلا أن لهذه الطريقة مشكلاتها المنهجية التي تتلخص فيما يلي

العوامل الانتقائية في العينات المختلفة : فجماعات العمر المختلفة قد لا يكون بينها وجه للمقارنة نظرا لآثار العوامل الانتقائية المتتابة . ويظهر أثر هذه العوامل خاصة حين تجرى البحوث على التلاميذ والطلاب . فطلبة الجامعات الذين نختارهم لفئة الشباب أكثر انتقائية من طلبة المدارس الثانوية الذين نختارهم لفئة المراهقين ، وأولئك أكثر انتقائية من تلاميذ المدارس الابتدائية الذين نختارهم لفئة الأطفال ، وذلك لأن الطلاب الأقل قدرة يتم استبعادهم خلال مسار العمل التعليمي ، وهكذا فإن المتوسط المرتفع لطلاب الجامعات قد ينتج عن عمليات التصفية هذه . ولذلك لكي تستخدم هذه الطريقة بفعالية أكثر في بحوث النمو لا بد أن تكون ممثلة للأصول الإحصائية العامة للسكان من مختلف الأعمار وان تشتق منها . لا أن يتم اختيار مجموعة الأفراد من مؤسسات تعليمية أو مهنية.

(٢) اللا تاريخية : تفتقد هذه الطريقة المعنى التاريخي الذي هو جوهر البحث في النمو ، فالطريقة كما هو ملاحظ تقتصر على دراسة الفرد الواحد في لحظة زمنية معينة ، وبالتالي لا توفر لنا معلومات عن السوابق التاريخية للسلوك ، أي ما هي الخبرات المبكرة التي تؤثر في السلوك موضع البحث ، كما لا تقدم لنا شيئا من المعرفة عن مدى استقرار السلوك أو عدم استقراره في الفرد الواحد . أي إلى أي حد يظل السلوك الملاحظ في وقت معين هو نفسه حين يلاحظ في وقت آخر . ويرجع ذلك في جوهره إلى أن التصميم المستعرض يوفر لنا معلومات عن الفروق الجماعية أكثر مما يقدم أي معلومات عن النمو داخل الفرد.

(٣) اختلاف رصيد الخبرة : قد لا يكون هناك درجة للمقارنة بين أرصدة الخبرة المختلفة عند جماعات الأعمار المختلفة التي تدرس في لحظة زمنية معينة . فمن المستحيل الحصول على عينات مختلفة من الأعمار في وقت معين ونفترض أنها عاشت في ظروف ثقافية موحدة عندما كانت متساوية في العمر، وواقع الأمر أن المقارنة في هذا النوع من البحوث تكون بين جماعات عمرية تفصل بينها فوارق زمنية مختلفة قد تصل إلى حد الفروق بين الأجيال ، كما هو الحال عند المقارنة في لحظة معينة بين سلوك عينات من الأطفال والمراهقين والراشدين . فمثلا لا يستطيع احد أن يعزى الفروق بين من هم اليوم في سن الأربعين ومن هم الآن في سن ١٥ سنة أو ٨ سنوات إلى عوامل تتعلق بالعمر وحدة . فعندما كان الأفراد الذين هم الآن في سن الأربعين في سن الخامسة عشرة أو الثامنة كان التعليم أكثر تواضعا والفرص المتاحة للأطفال والشباب أقل تنوعا ، والاتجاهات الاجتماعية أكثر اختلافا ، ومعنى هذا أن الاختلافات بين مجموعات العمر قد ترجع في جوهرها إلى ظروف متباينة نتيجة للتغيرات الثقافية

والحضارية ، وبالتالي لا يمكن الجزم بان التغير المشاهد يرجع إلى العمر وحدة . ولعل هذا يدفعنا إلى أن ننبه دائما إلى ضرورة حساسية الباحث لعينة المفحوصين في هذا النوع من البحوث والتي تختلف في جوهرها من عمر لآخر . ومن جيل لآخر ، فالمفحوصين في الدراسات المستعرضة لا ترجع الفروق بينهم إلى العمر الزمني وحد ولكن أيضا إلى الفترة الزمنية التي ولدوا و نشأوا فيها . ومعنى ذلك أن الجماعات العمرية في هذه البحوث تؤلف أجيالا مختلفة . ومفهوم الجيل يعنى مجموعة الأفراد الذين ولدوا وعاشوا خلال نفس الفترة الزمنية ولهذا يفترض منهم أم يشتركوا في كثير من الخبرات الثقافية والاجتماعية التي قد تؤثر في جوانب نموهم . تأمل مثلا أثر التنشئة في عصر الكمبيوتر والفيديو ومن قبلهما التليفزيون ، فالإنسان المعاصر يجنى ثمار هذا الانفجار الاتصالي بتعرضه لمدى أكثر اتساعا

من المعلومات لم يسبق إلى مثله في الماضي ، فإذا قورن أطفال اليوم بالأشخاص الذين يبلغون الآن من العمر ٥٠ أو ٦٠ عاما حين كانوا في طفولتهم فإننا نتوقع أن نجد لدى شباب اليوم اتجاها مختلفا نحو التكنولوجيا . ومن الصعب حينئذ أن نحدد بحسم ما إذا كان هذا الاختلاف هو نتاج التغيرات التي ترجع إلى النمو أم إنها ببساطة ترجع إلى اختلاف فرص التعرض للتكنولوجيا الحديثة.

٤) المقارنة الجماعية : لا تسمح الطريقة المستعرضة إلا برسم منحنيات المتوسطات موضوع البحث . والسبب في هذا أن الأشخاص مختلفون في كل مستوى عمري من مستويات البحث ، ويتحيل في هذه الحالة رسم المنحنيات الفردية ، إلا أن مثل هذا الإجراء قد يخفي اختلافات هامة بين الأفراد من ناحية وداخل الأفراد من ناحية أخرى ، وقد ينشأ عن رسم المنحنيات الجماعية أن تتلاشى هذه الاختلافات أو تزول ، ولهذا قد يكون منحنى المتوسطات الناجم مختلفا اختلافا بينا عن منحنى النمو لكل فرد على حدة . ومن أشهر النتائج التي توضح لنا خطورة هذه المسألة حالة التقدم الفجائي في النمو الذي يسبق المراهقة . فمنحنيات النمو الفردية بالنسبة لكثير من السمات الجسمية تكشف عن زيادة فجائية تطرأ على معدل النمو الجسمي قبيل البلوغ . ولما كان الأفراد يختلفون في سن البلوغ فإن هذه الوثبة تحدث في فترات مختلفة لكل فرد على حدة وبالتالي يمكن أن تظهر في المنحنيات الفردية للأفراد المختلفين ، فإذا رسمت المنحنيات الجماعية نجد أن هذه الاختلافات الفردية يلغى بعضها بعضا ، ونجد المنحنى الناجم عن الفروق الجماعية لا يكشف عن هذه الزيادة الفجائية إلا إذا اشتملت عينة الدراسة على أفراد يصلون إلى البلوغ في نفس السن ، وهو احتمال صعب الحدوث .

وبالرغم من مشكلات الطريقة المستعرضة إلا أنها أكثر شيوعا في بحوث المقارنات بين الأعمار ربما لسهولة نسبية وسرعتها الظاهرة ، واقتصادها الواضح في الوقت والجهد . اضعف إلى ذلك أنها تهين للباحث في مجال النمو الإنساني نظرة مجاملة للظاهرة النمائية

موضوع البحث

أ.د.آمال صادق أ.د.فؤاد أبو حطب(١٩٩٩: نمو الإنسان "من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين" مصر، مكتبة الأتجلو، الطبعة الرابعة)ص ٨٩ ص ٩٢

الطريقة الطولية :

تعتمد الطريقة الطولية وهي طريقة تتبعه، على ملاحظة أنواع التغيير الذي يحدث في سلوك طفل واحد أو مجموعة من الأطفال خلال مراحل نموهم شهراً بعد شهر ، أو سنة بعد أخرى وإن كان هناك من يرى أن هذا المنهج يحتاج إلى وقت طويل وأنه قد يكلف كثيراً وإن هذا كله يجعل هذا المنهج صعب الاستخدام .

إلا أن من مميزات هذه الطريقة أنها تعمل على تثبيت المتغيرات المختلفة التي يمكن أن تؤثر في السلوك عدا متغير النمو والذي هو المستهدف من البحث .

د/ عباس محمود عوض(١٩٩٩: مدخل علم نفس النمو "الطفولة - المراهقة - الشيخوخة"، مصر، دار المعرفة الجامعية ) ص ١٧

إلا أن لها مشكلاتها أيضا نلخصها فيما يلي:

(١) العوامل الانتقائية في العينة الأصلية : فالأفراد الذين يشاركون في بحث من طبيعته أن يستمر لعدة سنوات يتم انتقائهم في الأغلب تبعا لعوامل تحكيمية وليست عشوائية . ومن هذه العوامل استقرار محل الإقامة , والتعاون المستمر مع الباحث ، وبالطبع فإن المفحوصين الذين يتم انتقاؤهم بهذه الطريقة قد تتوافر فيهم خصائص أخرى بالمستوى الثقافي والميول والاتجاهات بل والظروف الطبيعية والصحية تختلف عن الأصل السكاني العام على نحو يجعلها منذ البداية عينة متحيزة وليست عشوائية ، فقد تكون العينة أعلى نسبيا من المستوى العام للأصل الإحصائي السكاني.

(٢) النقصان التتابعي للعينة : فلا شك في أن البحث الطولي يستغرق فترة طويلة نسبيا من الزمن ، ولهذا نتوقع أن يتناقص عدد المفحوصين تدريجيا ، ولذلك فإن المتابعات المتأخرة لنفس العينة نجدها تتم على أعداد قليلة إلى حد كبير لو قورنت بالحجم الأصلي لهذه العينة عند بدء البحث منذ سنوات بعيدة

(٣) أثر إعادة الملاحظات : توجد مشكلة منهجية ثالثة في البحوث الطولية تتمثل في الأثر المحتمل الذي تحدثه المشاركة المستمرة في سلوك المفحوص ، فالممارسة المتكررة للاختبارات وزيادة الألفة بفريق البحث ، والتوحد بإحدى الجماعات لفترة طويلة نسبيا من الزمن . هي جماعة البحث . وغير ذلك من ظروف البحث الطولي التتبعي ذاته ، قد تؤثر جميعا في أداء المفحوص في الاختبارات وفي اتجاهاته ودوافعه ، وفي توافقه الانفعالي ، وغير ذلك من جوانب السلوك . ومن ذلك مثلا أن المفحوص حين يعطى نفس الاختبارات أو ما يسببها عدة مرات فإنه يصبح على درجة كبيرة من الخبرة بها وفي مثل هذه الحالات سوف يؤدي المفحوص جيدا على الاختبارات اللاحقة لا بسبب النمو وإنما بسبب آثار تكرار الممارسة.

وعلى الرغم من هذه الطريقة تستغرق وقتا طويلا وتتطلب تكلفة هائلة فإنها لها قيمتها في أنها تهيئ لنا تتبع مسار التغيرات في المفحوصين كأفراد عبر الزمن . تخيل باحثا يجري دراسة على النمو العقلي خلال مدى الحياة . انه يواجه المهمة المستحيلة إذا صمم بحثه لجمع البيانات بنفسه ، لأنه إذا بدأ بحثه على مفحوصيه من الأطفال وعمرة مثلا ٢٥ سنة ، فإنه حين يبلغ مفحوصوه سن ٦٥ سنة مثلا ويدخلون في مرحلة الشيخوخة ربما يكون قد مات هو نفسه . بل إنه في الحدود الزمنية الأقل تطرفا توجد عوائق كثيرة من الوجهة العملية ، ولهذا السبب نجد أن القاعدة هي وجود بحوث طويلة قصيرة المدى لا تتجاوز في العادة خمس سنوات.

(٤) أثر وقت القياس : يمكن لبعض الآثار التي تحدث في المفحوصين من عينة البحث الطولي أن ترجع إلى وقت القياس وليس إلى النمو في ذاته . لنأمل مثلا فرضية فحص التغيرات المرتبطة بالعمر في الاتجاه نحو العمل اليدوي أثناء الرشد ، أن هؤلاء المفحوصين إذا كانوا قد اختبروا أو تمت ملاحظتهم ومقابلتهم في أوائل الخمسينات حين كانوا في بداية المراهقة قد يظهرون اتجاهات محافظة نسبيا حول هذا الموضوع ، ولكنهم عندما يختبرون اليوم بعد أكثر من ثلاثين عاما فإن هؤلاء المفحوصين أنفسهم قد يكونون أكثر تحررا وتسامحا في اتجاهاتهم ، وقد تفسر هذه النتيجة بأنها تعني أن الاتجاه نحو العمل اليدوي يصير أقل محافظة عند التحول من المراهقة إلى الرشد الأوسط ، إلا أن السبب الحقيقي أن الزمن قد تغير طوال هذه الفترة مع تغير المجتمع ككل حيث أصبح أكثر تقبلا للعمل اليدوي .فالتغيرات الملاحظة في هذه

الدراسة الفرضية قد تعكس بنفس القدر التغيير التاريخي في المجتمع وليس التغيير النمائي العادي الذي يحدث خلال الرشد فحسب ومعنى ذلك أن التصميم الطولي في ذاته لا يساعدنا بالضرورة على الوصول إلى تعميمات جيدة حول آثار النمو ، وكما هو الحال بالنسبة للبحوث المستعرضة لا بد أن تكون حذر شديد في تفسير النتائج  
أ.د. أمال صادق أ.د. فؤاد أبو حطب (١٩٩٩: نمو الإنسان " من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين" مصر، مكتبة الأنجلو، الطبعة الرابعة) ص ٩٣ ص ٩٥

## الأخلاقيات في علم النفس

إن التزام علماء النفس بإعداد أبحاثهم وتحليل نتائجها بعدل ودقة وموضوعية والحفاظ على سعادة الأفراد وكرامتهم الذين تجرى عليهم التجارب من أهم ما يراعى عند إجراء الدراسات في علم النفس.

ومع أن علماء النفس يمكن أن يقيسوا القلق الحاد بتصويب بندقية معبأة على رؤوس الناس وملاحظة الملامح التي تظهر عليهم أو يدرسون الصراعات الزوجية بإعلام احد الزوجين بأن زوجه الآخر يخونه ودراسة في هذا الموقف إلا أن هذه الأساليب تعد مؤذية وبالتالي غير أخلاقية.

غير أن هذا الالتزام بالقيم الأخلاقية ليس بهذه البساطة ، حيث يواجه العالم أحيانا بقيم متعارضة تتطلب منه أن يوفق بين قيمة تأمين حماية المفحوصين من الأذى من جهة ، وقيمة دراسته من جهة أخرى . ومن ذلك أن الباحث في محاولته إيجاد وسائل لمساعدة الناس على التكيف مع القلق يمكن أن يطلب منهم استخدام مهارات تكيفيه جديدة في مواقف مثيرة للقلق ولكنها غير جارحة للكرامة أو مؤذية للمشاعر .

ويترتب على العالم إذا كان يريد القيام بدراسة تخلق في المفحوصين عدم الارتياح أو تعرضهم لمخاطرات جسيمه أو عاطفيه أو يقتع جهة معتمده خاصة بمراقبة الأبحاث بأن هذه الفوائد المعرفية المنتظرة من الدراسة ترجح أي أذى محتمل قد يصيب الأفراد المشمولين بالدراسة ، وان يسعى في الوقت نفسه إلى خفض احتمالات عدد ارتياح الأفراد المدروسين وعدم تعريضهم للمخاطرة إلى أقصى حد ممكن ، وفضلا عن عمله على تجنيبهم معاناة النتائج مدة طويلة . ولاشك هنا بضرورة إطلاعه المفحوصين على كل جانب من الدراسة لان ذلك يمكن أن يؤثر على قرارهم بالاشتراك في التجربة أو عدمه ، فاشتراكهم ينبغي أن يكون بمحض إرادتهم واختيارهم . أما إذا اقتضت سلامة نتائج التجربة عدم إطلاع المفحوصين على الأهداف الحقيقية للتجربة أو غير ذلك فإنه يترتب على الباحث أن يصحح أية آراء أو مشاعر قي تنشأ في نفوسهم فور الانتهاء من التجربة .

غير أن التزام عالم النفس بحماية الأفراد لا تقف عند الإنسان وحسب ، وإنما يجب أن يشمل هذا المبدأ والأخلاقي الحيوان كذلك ، حيث أصبح الحيوان يستخدم في حوالي ٨٠% من الأبحاث في علم النفس . ومن المعروف إن هدف علم النفس من إجراء التجارب على الحيوان مرده الاهتمام بسلوك الحيوان من جهة ، وتعميم النتائج على الإنسان من جهة أخرى عندما لا يمكن إجراء التجارب على الإنسان ، وتقتضي القيم الأخلاقية في مثل هذه الحالات عدم جواز تعريض الحيوانات المجرب عليها إلى الألم أو الجوع الشديد أو غير ذلك من المعاملة اللانسانية . وعند تعريض الحيوان إلى صدمة كهربائية ينبغي أن يكون عدم الارتياح الذي تخلفه الصدمة معتدلا وقصيرا وغير مؤذ .

إن مسؤولية إجراء الأبحاث في أكثر الظروف الإنسانية مواتاة هي مجرد مظهر واحد من المبادئ الأخلاقية التي تراعي . فالمعلمون العاملون في حقل علم النفس يجب أن يجتهدوا في إعطاء الطلاب معلومات كاملة ودقيقه وحديثه عن كل نقطة في الدراسة ، لا وجهة نظر مقتضبة ومتحيزة . ثم إن على العاملين في علم النفس ألا يستخدموا من الأساليب ولا يقدموا خدمات إلا ما كانوا قد تدربوا عليه واختصوا فيه ، فعلى عالم النفس البيولوجي مثلا ، الذي لم يتدرب على الأساليب العيادي ألا يحاول تقديم علاج نفسي . ويجب على عالم النفس كذلك أن يحافظ على سرية المعلومات التي تتوافر لديه عن العميل أو الطالب ولا يبوح بها إلا عندما تطلب من مصدر رسمي معتمد قانونيا . ومع ذلك تظل ثمة مسائل معروضة للجدل تنشأ في بعض الحالات كما في لجوء الباحث إلى خداع المفحوصين ، حيث لا يجوز له بحال أن يلجأ إلى الخداع إلا إذا كانت القيم العلمية أو التربوية أو التطبيقية تسوغ ذلك الخداع .

ويمكن القول على سبيل الخلاصة بأن الباحثين مدعوون إلى الحصول على موافقة المرشحين للمشاركة بالتجربة وحمايتهم من التعرض للأذى وعدم الارتياح والتعامل مع المعلومات عن المشاركين بسرية تامة وتفسير التجربة للمجرب عليهم تفسيراً كاملاً بعد الانتهاء منها . وقد أصبحت جامعات كثيرة تعرض مشاريع الأبحاث على لجنة أخلاقيه خاصة مهمتها حماية المشاركين من الضرر ومشاعر عدم الارتياح .

د.راضي الوقي (١٩٩٨:مقدمة في علم النفس . الطبعة الثالثة. الاردن : دار الشروق للنشر والتوزيع )  
ص ٥٥ ص ٥٦ .

## المراجع:

- ١) أ.د.آمال صادق أ.د.فؤاد أبو حطب(١٩٩٩: نمو الإنسان "من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين"مصر، مكتبة الأنجلو، الطبعة الرابعة).
- ٢) د.راضي الوقفي (١٩٩٨: مقدمة في علم النفس. الطبعة الثالثة. الاردن : دار الشروق للنشر والتوزيع ) .
- ٣) د/ عباس محمود عوض(١٩٩٩: مدخل علم نفس النمو "الطفولة –المراهقة –الشيخوخة"،مصر،دار المعرفة الجامعية ).
- ٤) د/عبد الحميد محمد الهاشمي( ١٩٨٦: اصول علم النفس العام ،جدة ،دار الشروق).
- ٥) د/ فؤاد البهي السيد الاسس (١٩٩٧: النفسية للنمو،مصر ،دار الفكر العربي ).